إعجاز التناسب
في الدعاء والاستجابة

د. زينب بنت عبد اللطيف بن كامل كردي
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إعجاز التناسب
في الدعاء والاستجابة

د. زينب بنت عبد اللطيف بن كامل كردي

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٨/ ٥/ ١٤٣٩هـ تاريخ قبول البحث: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٩هـ

ملخص الدراسة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، أما بعد؛ فتتناول هذه الدراسة التناسب المعجز في الدعاء والاستجابة، وترابط أجزائها كاشفة عن التناسب التركيبيّ في النظم القرآني. وجاءت في تمهيد يشرح مفردات العنوان تتبعه ثلاثة مباحث وخاتمة، رصدت أبرز نتائج الدراسة، فكان المبحث الأول بعنوان مقامات الدعاء ومطالبه وجاء في قسمين؛ أولهما: مقامات الدعاء، ورصدتُ فيه الشواهد موضع الدراسة مصنفة في ثلاثة مقامات للدعاء؛ هي: مقام الاستعطاف، ومقام الصبر وانتظار الفرج، ومقام الاستنصار بالله، والقسم الثاني عن مطالب الدعاء، التي توزعت إلى مطالب في الدنيا، ومطالب في الآخرة، ومطالب جامعة.

والمبحث الثاني استنبط المظاهر الأسلوبية في الدعاء من استهلاله الدعاء بأسلوب النداء، إلى التفنن في عرضه، إلى التقديم للدعاء، وتكرار الألفاظ في الطلب، والتقييد بالجر والظرفية، وتناسب الدعاء مع خاتمته في اللفظ والمعنى.

والمبحث الثالث استنبط المظاهر الأسلوبية في الاستجابة من طرق استهلال الاستجابة، إلى تناسب الاستجابة مع خاتمتها في اللفظ والمعنى.

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد، وأن يرزقنا تدبر كتابه على الوجه الأكمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!

المقدمة:

الحمد لله الذي دعانا للسؤال والإنابة، ووعدنا بالخير والاستجابة، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله النبيّ الأمين، الذي كان الدعاء أنسه وسلاحه في الرخاء والشدة، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فالقرآن الكريم أفق البلاغة الأرحب، ومدد الخير لمن أخلص الطلب، وتجرّد للفهم والعمل، ومن علومه علم المناسبات، الذي يربط بين السور والآيات والمقاطع والكلمات؛ فإذا هي أجزاء بنيان متصل؛ تتجلّى فيه أسمى الهدايات، منظومة بأوثق الروابط والترتيبات.

ومن الأمور التي لفتت نظري في تدبُّر البيان المعجز موضوع الدعاء حين تتصل معه الاستجابة من مالك الملك ﷻ؛ لذا جعلتهما موضوع هذه الدراسة (إعجاز التناسب في الدعاء والاستجابة)؛ فللدعاء أثر عظيم على حياة المسلم؛ في الرخاء يناجي ويثني ويشكر، وفي الشدة يعترف بذنبه مستغفرًا مستعطفًا مستنصرًا صابرًا ينتظر الفرج، ثقة بمعيّته الموعودة، فتنفحه نفحات الاستجابة متنزِّلة بالسكينة واليقين.

أهداف الموضوع:

١. تدبُّر المقامات التي وردت في الدعاء والاستجابة.

٢. استنباط المظاهر الأسلوبية في الدعاء.

٣. استنباط المظاهر الأسلوبية في الاستجابة.

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية:

تتجلّى قيمة إعجاز التناسب في الدعاء والاستجابة في تدبُّر مقامات استجابة الدعاء، واستنباط المظاهر الأسلوبية فيهما باستشراف جانب من

بلاغة القرآن الكريم في التناسب، وصولاً إلى فهم أمثل لطرق استجابة الدعاء؛ فمعرفة ظروف الدعاء وصيغته ومقاماته، ومقومات استجابته، ورحمة الله بعباده في الاستجابة أمر مهمّ في حياة المسلم.

الأهمية التطبيقية:

تمدّ هذه الدراسة الباحثين المهتمين ببلاغة القرآن، بموضوع يتناول التناسب المعجز في الدعاء والاستجابة، فيبحث في تناسب الآي، وتلاحم مطالعها ومقاطعها، وترابط أجزائها كاشفًا عن التناسب التركيبيّ المعجز. كما تخدم المؤسسات التعليمية التي تعلّم التدبُّر، والمكتبة الإسلامية، وكلّ مسلم متدبِّر للقرآن.

مشكلة الدراسة:

تجيب الدراسة عن سؤال رئيس هو:

كيف تناسب الدعاء والاستجابة في القرآن الكريم؟

وتتفرّع عنه التساؤلات الآتية:

١. ما هي مقامات الدعاء ومطالبه؟

٢. ما المظاهر الأسلوبية في الدعاء؟

٣. ما المظاهر الأسلوبية في الاستجابة؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفيّ مقرونًا بالطريقة التحليليّة الاستنباطيَّة، بتتبُّع الآيات التي ورد فيها الدعاء متبوعًا بالاستجابة، فرصَدتْ أربعين شاهدًا، صُنِّفت حسب المقام مع استنباط الظواهر البلاغيَّة الأسلوبيّة في تناسب كلٍّ من الدعاء والاستجابة.

وسارت الدراسة على المنهج التاريخيّ في عرض الداعين بدءًا بالأنبياء حسب أرجح ترتيب زمنيّ لهم: آدم، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط،

شعيب، إسماعيل، يوسف، أيوب، يونس، موسى وهارون، داود، سليمان، زكريا، يحيى، عيسى، محمد[1]، عليهم السلام، لكنّ عرض الشواهد في الاستنباطات ورد حسب الظواهر الأسلوبية مع مراعاة ترتيب المصحف عند سرد دعوات نبيٍّ واحد. هذا وأسأل الله التوفيق والسداد.

التمهيد

يشرح التمهيد مفردات العنوان بعرض لمحة موجزة عن التناسب، والدعاء والاستجابة.

مفهوم التناسب:

لغة:

أصل التناسب في اللُّغة يدلّ على اتّصال ومقاربة ومشاكلة[2].

اصطلاحًا:

علم يعرف منه ارتباط آي القرآن وسوره فيما بينها، حتى يتّحد أوّل كلّ منها بآخره، في نسق معجز مؤلّف من آيات وسور آخذٍ بعضُها بأعناق بعض في بناء محكَم مترابط[3].

قيمة علم المناسبات:

معرفة مجالات الاتصال والتلاؤم بين الأمور، والبحث عن أسرار التلازم والاتساق والتناسب في الكلام أمر مهمّ في إقبال النفس واستجابتها؛ لذا تحدّث العلماء عن التناسب في القرآن، وفيما يأتي عرض لأبرز ما ذكر عنه:

١. ذكر الفخر الرازيّ (٦٠٦هـ) أنّ ((أكثر لطائف القرآن مودَعة في الترتيبات والروابط))[4]، موجِّهًا الأنظار إليها في تفسير سورة البقرة حيث

---

(١) قصص الأنبياء: ٧٦٧ - ٧٧١.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب: نسب.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٣٥.

(٤) التفسير الكبير للرازي: ٥/٢٤٥.

قال: ((من تأمّل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنه معجِز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجِز بحسب ترتيبه ونظم آياته))[1].

٢.لفت الزركشي (٧٩٤هـ) الأنظار إلى إعجاز التناسب حيث ذكر أنّ القرآن الكريم ((مِن تناسُب ألفاظه، وتناسُق أغراضه، قلادةٌ ذات اتساق، ومِن تبسُّم زهره، وتنسُّم نشره، حديقةٌ مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق. كلُّ كلمة منه لها من نفسها طرَب، ومن ذاتها عجَب، ومن طلعتها غُرّة، ومن بهجتها دُرّة، لاحت عليه بهجة القدرة، ونزل ممن له الأمر، فله على كلِّ كلام سلطانٌ وإمرَة! بهر تمكُّن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشارته، وعجيب انتقالته، من قصصٍ باهرة، إلى مواعظَ زاجرة، وأمثالٍ سائرة، وأدلّة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجُّب واعتبار، ومواطنِ تنزيهٍ واستغفار))[2].

٣.وضَّح البقاعيّ (٨٨٥هـ) القيمة الجليلة للتناسب في معرفة العلل الترتيبيّة لأجزاء الكلام، فهو من أسرار البلاغة؛ لتحقيقه مطابقة المعاني لما يقتضيها من الأحوال والمقامات[3].

ومما سبق تتجلّى قيمة التناسب؛ فهو علم عظيم، ومجاله واسع، ينطوي على تدُّبر عميق في معاني البيان القرآنيّ، واستكناه لأوجه الترابط في السياق، وما يقتضيه من مطابقة الأحوال والمقامات حتى يبدو النظم متآلفًا متناسقًا؛

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٦٧/٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٤/١.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٩/١.

من هنا حرصت الدراسة على تدبُّر أسرار النظم القرآنيّ المعجز في موضوع مهمّ هو التناسب في الدعاء والاستجابة لاستكناه المظاهر الأسلوبية التي تحقق بها هذا التناسب المعجز في السياقات التي ورد فيها الدعاء متبوعًا بالاستجابة.

نوعا المناسبات القرآنية:

المناسبات القرآنية نوعان:

أحدهما: في ترتيب السور فيما بينها.

والآخر: في تراكيب الآي، وترتيبها.

ولكلٍّ منهما أنواع، وليس المقام هنا للتفصيل عن علم المناسبة، وموقف العلماء منه بين الأخذ والردّ[1]؛ فما تناوله البحث من التناسب التركيبيّ الذي دعا إليه العلماء، ولم يكن محلّ خلاف.

مفهوم الدعاء:

لغة:

أصلٌ يدلّ على الرغبة والإمالة بصوت وكلام. دعا الرجل يدعو دَعْوًا ودعاءً، إذا نادى، وطلب، وسأل[2].

اصطلاحًا:

ذكر الخطابيّ (٣٨٨هـ) أنّ الدعاء: «استدعاء العبد ربَّه ﷻ العناية، واستمداده إيّاه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرُّؤ من الحول

---

(١) ينظر في تفصيل هذين النوعين وموقف العلماء منهما: البرهان في تناسب سور القرآن: ٦٣، ٦٤، والبرهان في علوم القرآن: ١/٢٥٦، والإتقان: ١/١٧٢، وتناسق الدُّرر: ٥٦.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: دعو، ولسان العرب: دعا.

والقوّة، وهو سمة العبوديّة، واستشعار الذلّة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود، والكرم إليه))[1].

وذكر البهاء السبكي (٧٣٣هـ) أنّ الدعاء طلب إلى الأعلى على سبيل التضرّع والخضوع[2].

واتفق شرّاح التلخيص مع تعريف السبكيّ في أن الدعاء طلب من الأدنى إلى الأعلى على وجه التضرّع والتذلّل والخضوع، وأدرجوه تحت أساليب الأمر والنهي والنداء من أساليب الإنشاء الطلبيّ[3]. لكن هذا التعريف يعمّ دعوات غير المؤمنين لآلهتهم، في حين اشتمل تعريف الخطابيّ على تخصيص الدعاء بالله ﷻ؛ ويجتمع التعريفان في اشتمال كلٍّ منهما على تحقيق معنى العبادة، ويتأكد هذا التحقيق في قول النبيّ ﷺ: "الدعاء هو العبادة"[4]؛ حيث يدلّ القصر فيه على التأكيد والمبالغة؛ فيشمل العبادات جميعها فرضها ونفلها، ومبعثه تذلّل وتضرُّع إلى الله ﷻ.

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الدعاء كما يأتي:

طلب من العباد إلى الله ﷻ على وجه التضرُّع والخضوع محقّقًا معنى العبادة.

---

(١) شأن الدعاء: ٤.

(٢) ينظر: مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص): ٢/٣٢٠.

(٣) ينظر: عروس الأفراح، ومختصر السعد، وحاشية الدسوقي (ضمن شروح التلخيص): ٢/٣٢٠.

(٤) حديث صحيح عن النّعمان بن بشير ﷺ أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٢٩٦، وأبو داود: ١٤٧٩، والترمذي: ٣٢٠٧، ٣٥٢٨، ٣٦٦٨، وصححه الألباني في الأدب المفرد: ٧١٤، وفي صحيح أبي داود: ١٣٢٩.

مفهوم الاستجابة:

لغة:

أصل يدلّ على مراجعة، يقال: أجابه عن سؤاله، إجابة وإجابًا وجَوابًا وجابةً، فالإجابة والجواب: ما يكون ردًّا على سؤال أو دعاء أو رسالة أو نحو ذلك. واسْتَجْوبه واسْتَجابَ له واستجاب منه؛ إذا قبل دعاءه، وقضى حاجته[1]. وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦]، معنى الاستجابة الانقياد لله فيما دعَاهم إليه.

ومن أسماء الله المجيب، وهو مقترن بالقريب، وإجابته نوعان: عامّة وخاصّة، فـ ((هو المجيب إجابة عامّة للدّاعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أيّ حال كانوا، كما وعدهم بهذا الوعد المطلق. وهو المجيب إجابة خاصّة للمستجيبين له المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضًا للمضطّرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين، وقوي تعلُّقهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا)) [2].

اصطلاحًا:

الاستجابة هي موافقة الدعوة فيما طُلب بها[3].

الفرق بين الإجابة والاستجابة:

اختلف اللغويُّون في الفرق بين الإجابة والاستجابة؛ فرأى بعضهم أنّهما بمعنًى واحد[4]، وذكر آخرون أنّ الإجابة أعمّ من الاستجابة والقبول؛ إذ هي

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب: جوب، والمعجم الوسيط: جاب.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ٩٤٩، وينظر: النهج الأسمى: ٣٠١-٣٠٢.

(٣) ينظر: الكليات: ٥٠.

(٤) ينظر: أساس البلاغة، ولسان العرب: جوب.

قطع سؤال السائل، وقد يكون القطع بالمخالفة، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

فالسياق هنا يورد دعوة المقصِّرين عند حلول الأجل بطلب تأخيره، فكانت الإجابة بمخالفة ما أرادوا؛ فقد قضى الله أمره، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: ٦١].

وتختصّ الاستجابة بقبول الدعوة مع فضل عناية بها[1]، ويؤخذ هذا المعنى من الصيغة الصرفيّة للمصدر بزيادة حروف الاستفعال؛ فالسين والتاء للمبالغة للدلالة على إجابة بالموافقة مع عناية ورفق بصاحبها. والتعدية باللام -مع أنّ الفعل يتعدّى بنفسه - للدلالة على كمال العناية بالمستجاب له، واختصاصه بترادف النعم، وتحقيق ما أراده إكرامًا لسؤاله، وتقديرًا لمقامه؛ لذا كانت الاستجابة ثوابًا؛ لما فيها من الإعظام[2]؛ لذا ترجِّح الدراسة الاختلاف بين الإجابة والاستجابة؛ فيمكن القول إنّ الاستجابة أخصّ بناء على المعنى اللغويّ والصيغة الصرفية، وفيها قبول وعناية وتحقيق للمطلوب، وانقياد من العبد، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢]، دلالة على أنّ البشر يقومون بقدرة الله

(١) ينظر: الفروق اللغوية: ٤٤، ونظم الدرر: ٣٠٦/١٧، والكليات: ٥١، والتحرير والتنوير: ١٣٣/١٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ١٣٣/٣، وزهرة التفاسير: ٤٩٠٩/٩.

ﷻ إذعانًا لأمره، وانقيادًا لدعوته، دون ما توهمّوا من مستحيلات أنهم صاروا رفاتًا وترابًا[1].

وورد الحضّ على الدعاء مع وعد الله بالاستجابة في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، فالخطاب للمسلمين لتحقيق عبادته وحده بالدعاء تذلُّلاً وتضرُّعًا، والتجاء إليه دون سواه، و((الآية من الاحتباك: ذكر الدعاء أولاً دليلاً على حذفه ثانيًا، والعبادة ثانيًا دليلاً على حذفها أولاً))[2].

كما وُعد المستجيبون لله والرسول المنقادون للكتاب والسنة بالأجر العظيم وبالحسنى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران:١٧٢] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾[الرعد:١٨] .

ولما كانت الإجابة والاستجابة من الصفات الإلهية المرتبطة بالقرب والسمع، كان انتفاؤها عن آلهة الكفار المزعومة دلالة على بطلان عبادتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الرعد:١٤] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٤] .

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/٤٦٣.

(٢) نظم الدرر: ١٧/١٠٠.

وبعد هذا التوضيح لمفردات العنوان، أذكر في المباحث الثلاثة الآتية مقامات الدعاء ومطالبه والمظاهر الأسلوبية للدعاء والاستجابة.

مقامات الدعاء ومطالبه

أولاً: مقامات الدعاء:

رصدت الدراسة للآيات التي ورد فيها الدعاء متبوعًا بالاستجابة أربعين موضعًا، صدرت الأدعية فيها عن الأنبياء والرسل، وعن غيرهم من البشر، صُنفت في ثلاثة مقامات: مقام الاستعطاف، ومقام الصبر وانتظار الفرج، ومقام الاستنصار بالله. وفيما يأتي تفصيلها:

١. مقام الاستعطاف:

رصدت الدراسة للدعوات التي ارتبطت في سياق واحد مع استجاباتها في مقام الاستعطاف تسعة مواضع؛ جاءت باعتراف بالزلل[(١)]، وإقرار بالذنب، وطلب للمغفرة والرحمة. ورد سبعة منها عن الأنبياء والرسل، وموضعان عن المؤمنين المتفكّرين في الآفاق، والنصارى الذين اهتدوا إلى الإيمان، وفيما يأتي تفصيل الداعين في هذا المقام:

١. آدم عليه السلام: أزلّه الشيطان؛ فأكل من الشجرة هو وزوجته حواء، وبعد أن أدركا فداحة الذنب لجأا إلى الله مستعطفَين معترفَين بظلم النفس؛ فتاب عليهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٣ - ٢٥]، وجاءت الاستجابة من الرحمن الرحيم بقبول التوبة التي صُرِّح بها في قوله

---

(١) للاستزادة من ألفاظ الاعتراف بالزلل والمقامات التي ورد فيها في القرآن ينظر: بلاغة القرآن في مقامات الاعتراف بالزلل لرغدة كردي.

تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧]، ولم يصرّح بها في الشاهد موضع الدراسة ثقة بما ذكر؛ فاستجاب الله دعاءه، وقبل توبته، وبدأ مرحلة استخلافه بهبوطه إلى الأرض لعمارتها هو وذرِّيته، ومنازعة عدوّهم فيها، حاملين معهم أمانة عجزت عنها السموات والأرض والجبال.

٢. نوح عليه السلام: راجع ربّه في ابنه؛ فعاتبه، فاستعطف معترفًا بالزلل طالبًا المغفرة والرحمة؛ فاستجاب له بتبشيره بالهبوط بسلام وبركات هو ومن معه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٧ – ٤٨].

٣. يونس عليه السلام: غاضب قومه، واستعجل في هجرهم؛ فاعترف بزلله، ونادى ربّه مقرًّا بظلم نفسه؛ فاستجاب له، ونجّاه من الغمّ. ورد ذلك في موضعين:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم: ٤٨ – ٥٠].

٤. موسى عليه السلام: اعترف بزلله، وندم، واستعطف ربّه في موضعين:

• استعجاله من ظنّه بأخيه حيث استغفر من صنيعه؛ فاستجاب الله له بالبشرى بحكم عامٍّ بأنّ من تاب فالله غفور رحيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف: ١٥١ – ١٥٣].

• قتْله القبطيّ، إذ رجا من الله المغفرة، فغفر له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

٥. سليمان عليه السلام: وقع في فتنة أزالت عنه ملكه، فلجأ إلى الله مستعطفًا منيبًا، فسخر له الريح والشياطين ووعده بحسن مآب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٣٥– ٤٠].

٦. أولو الألباب المتفكّرون في الآفاق: أثنى الله على اهتدائهم بالتفكّر إلى حكمته في خلق الكون؛ ومسارعتهم بالاستعطاف معترفين بذنوب يرجون مغفرتها، فيستجيب لهم واعدًا بادخار الحسنات وتكفير السيئات وإدخال الجنات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا

مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩١ – ١٩٥].

٧. النصارى الذين اهتدوا إلى الإيمان بالله: ذكر القرآن أنهم يستعطفون الله أن يدخلهم في زمرة الصالحين الشاهدين يوم القيامة، فيعدهم بالإثابة بالجنات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٣ – ٨٥].

٢. مقام الصبر وانتظار الفرج:

جاءت دعوات هذا المقام في ثلاثة عشر موضعًا، اختصت ثمانية منها بالأنبياء والرسل بعد ابتلاءات شتى منها الحرمان من الذرية، وفتنة كيد النساء، والمرض وفقد الأهل والمال، وخمسة منها صدرت عن غير الأنبياء، وهم: امرأة عمران، وأصحاب الكهف، والمؤمنون الصالحون في دعوات علمهم الله إياها لخيري الدنيا والآخرة للنفس والوالدين والأهل، وفيما يأتي تفصيل الداعين في هذا المقام:

١. إبراهيم عليه السلام: طلب الذريّة داعيًا ربّه أن يرزقه بولد صالح، فبشره بغلام حليم، ورد دعاؤه محكيًّا: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠٠ – ١٠١].

٢. يوسف عليه السلام: طلب صرف كيد النساء عنه حينما وقع في كيد عظيم، وفتنة ملحّة تبدّت أمامه بمغرياتها، فصمد وصبر منتظرًا الفرج مؤثرًا السّجن داعيًا الله أن يعينه؛ فاستجاب له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣ – ٣٤].

٣. أيوب عليه السلام: لجأ إلى ربه بعد صبر على الضرّ الذي مسّه في بدنه وأهله وماله، فاستجاب له، وعوّضه أفضل مما فقد، ورد ذلك في موضعين:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١ – ٤٤].

٤. امرأة عمران: دعت الله أنّ يتقبّل ما في بطنها لخدمة بيت المقدس؛ فاستجاب الله دعاءها بالقبول والكفالة والرزق والصلاح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٥ – ٣٧].

٥. زكريا عليه السلام: طلب الذرية، وردّ أمره إلى الله صابرًا مستسلمًا منتظرًا الفرج، فبشّره الله بيحيى عليه السلام، ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران:٣٨-٣٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم: ٤ – ٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

٦. موسى عليه السلام: دعا ربَّه معرِّضًا بحاجته مفتقرًا منتظرًا الفرج؛ فعاجلته الاستجابة باستقرار وسكن وإغناء من فضل الله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا

جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: ٢٤ – ٢٧].

٧. أصحاب الكهف: التجؤوا إلى ربهم هربًا بإيمانهم؛ فأنامهم سنين عددًا إلى أن ولّى عهد الظُّلْم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف: ١٠ – ١٢].

٨. عباد الله الصالحون: علّمهم الله الدعاء لأنفسهم ولأهليهم، ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

- الدعاء للأنفس بخيري الدنيا والآخرة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠– ٢٠٢]

- الدعاء للأزواج والذريات وللأنفس بالتقوى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾[الفرقان: ٧٤ – ٧٦].

• شكر النعم على الإنسان وعلى والديه، والدعاء بصلاح النية والذرية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٥ – ١٦].

٣. مقام الاستنصار بالله:

جاءت دعوات هذا المقام في ثمانية عشر موضعًا، اختص منها بالأنبياء والرسل خمسة عشر موضعًا، تضمنت طلب التأييد بآية للتصديق، وطلب التهيئة للدعوة، وبثّ المخاوف التي تعتري النفس خوفًا على الرسالة، أو الشكوى من التكذيب والتصريح بطلب النصرة، أو اليأس من استجابة القوم بطلب الفتح أو النجاة، أو إهلاكهم، وورد ثلاثة منها في استغاثة المؤمنين في المعارك بطلب الصبر والتثبيت والنصر. وفيما يأتي تفصيل الداعين في هذا المقام:

١. نوح عليه السلام: كذّبه قومه؛ فاستنصر ربّه؛ لينجّيه منهم؛ فاستجاب له، ونجاه ومن آمن معه، وأغرق الظلمة بالطوفان، وورد دعاؤه متبوعًا بالاستجابة في أربعة مواضع:

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦ – ٧٧].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٦ – ٢٧].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٧ – ١٢٠].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥ – ٨٢].

٢. هود أو صالح[1] -عليهما السلام - كلاهما دعا قومه وكذبوه؛ فلجأ إلى الله مستفتحًا عليهم مستنصرًا ربّه بعد ما سلك كلّ مسلك في دعوتهم؛ واستجاب الله له بأن وعده بسرعة ندمهم، فأخذتهم الصيحة!

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٩ – ٤١].

---

(١) لم يصرح السياق القرآني في هذا الموضع باسم النبي أو القوم، لكنه ذكر أنهم بعد قوم نوح: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣١ – ٣٢] فالاهتمام كان بالحدث المتكرر على مر الأزمان من مستكبري القوم، وجاء العطف بعده والتعقيب على القصص الواردة في سورة المؤمنون بعبارة جامعة تبيّن سنة الله في نصرة أنبيائه وإهلاك المكذبين الفجرة.

٣. لوط عليه السلام: دعا قومه إلى التوحيد ونهاهم عن الفاحشة، فهددوه بالإخراج؛ فسأل ربه أن ينجيه وأهله، فاستجاب له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٦٩ – ١٧٣].

٤. موسى عليه السلام: ورد له في مقام الاستنصار ثلاثة مواقف، حوت ستة مواضع:

– طلب التأييد قبل الذهاب إلى فرعون: التجأ إلى ربِّه ليبرئه من عيوب نفسه، مستنصرًا به مستمدًا منه المعونة طالبًا الأسباب التي تعينه على التبليغ؛ فاستجاب له بأن آتاه سؤله وأيّده بأخيه، وبشّرهما بمعيّته، وورد دعاؤه متبوعًا باستجابة الله له في أربعة مواضع:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٥ – ٣٦].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٥ – ٤٦].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢ – ١٥].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن

يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص: ٣٣ – ٣٥].

- طلب النصرة بعد استكبار قومه وتقاعسهم عن القتال لإخراج العدو من الأرض المقدسة: حيث توجه إلى ربه ضارعًا، فاستجاب الله له بأن عاقب أولئك القوم بالتيه أربعين سنة، لا يستقرون ولا يهتدون إلى طريق: ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

[المائدة: ٢٥ – ٢٦].

- طلب النصرة حين أيس من انقياد فرعون وقومه لدعوته: حيث دعا ربه أن يذهب أموالهم، ويشدّ على قلوبهم لينعقد فيها الكفر والضلال، فلا تقبل خيرا أبدًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٨٨ – ٩٠].

٥. زكريّا عليه السلام: دعا الله أن يؤيّده بآية تدلّ على تحقّق معجزة الولد استئناسًا بالبشائر، فأكرمه بتأييده بآية أن يُعجز لسانه عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا يقدر إلا على الإشارة والرمز[1]، وورد الدعاء واستجابته في موضعين:

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ١٣٠.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١].

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾ [مريم: ١٠].

٦. عيسى عليه السلام : سأل ربّه أن ينزل مائدة من السماء، حين طلب الحواريون منه آية مرئية تزيد يقينهم[1]، فاستجاب له: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١١٤ – ١١٥].

٧. المؤمنون المقاتلون في المعارك: حكى القرآن استغاثتهم، واستنصارهم بالله، واستلهامهم الصبر والتثبيت، وتنزّلت الاستجابة بالتثبيت والمدد الجليل، والنصر المؤزَّر، والإثابة في الدنيا والآخرة؛ ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٠ – ٢٥١].

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٢٤٨.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾ [الأنفال: ٩].

ثانيًا: مطالب الدعاء:

تنوّعت مطالب الدعاء في شواهد الدراسة في مقاماتها الثلاثة ما بين مطالب في الدنيا، إلى مطالب في الآخرة، إلى مطالب جامعة لهما معًا. وفيما يأتي تفصيلها:

١. مطالب في الدنيا:

اقتصرت على مطالب ذات مقاصد سامية لأداء مهمّة الخلق بالاستخلاف في الأرض وعمارتها. ورد منها في مقام الصبر وانتظار الفرج تسعة مواضع؛ هي: طلب الذرية في دعاء إبراهيم، ودعاء زكريا في ثلاثة شواهد، ومن مطالب هذا النوع أيضًا طلب صرف كيد النساء في دعاء يوسف، وكشف الضر في دعاء أيوب في شاهدين، والافتقار إلى الله، وطلب الغنى من فضله في دعاء موسى، وطلب الرحمة وإلهام الرشد في دعاء أهل الكهف.

في مقام الاستنصار بالله: كانت المطالب جميعها في شواهده الثمانية عشر مما يراد تحقيقه في الدنيا لنشر الدعوة إلى الله بتأييد رسله ونصرتهم بما يعينهم على حمل الرسالة ونشرها، وتثبيت المؤمنين المقاتلين في المعارك ضد الكفَرة لإعلاء كلمة الله في الأرض.

٢. مطالب في الآخرة:

ورد منها ستة مواضع في الاستعطاف: تناولت طلب المغفرة والرحمة كما في دعاء آدم وحواء، ودعاء نوح، ودعاء موسى بالمغفرة والرحمة لنفسه ولأخيه، وحين قتل القبطي، ودعاء المتفكرين في الآفاق، ودعاء النصارى الذين اهتدوا إلى الإسلام.

٣. **مطالب جامعة:**

ورد منها في مقام الاستعطاف موضعان: دعاء يونس، ودعاء سليمان، وفي مقام الصبر وانتظار الفرج ورد منها أربعة مواضع، هي: دعاء امرأة عمران، ودعوات المسلمين لأنفسهم، والدعوات للوالدين والذرية في شاهدين.

المبحث الثاني
المظاهر الأسلوبية في الدعاء

أولاً: استهلال الدعاء بأسلوب النداء:

غلب استهلال الدعاء بالنداء في شواهد المقامات الثلاثة المذكورة؛ فورد في ثلاثين موضعًا بالتركيب الآتي:

١. حذف أداة النداء: وهذه سمة غالبة في القرآن، وتقدَّر بـ "يا" فهي أمّ الباب، ويدلّ حذفها على شدّة قرب المنادى، فلم يرِد ﴿يَٰرَبِّ﴾ إلاّ في موضعين حكاية عن نبيِّنا محمّد ﷺ:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٠].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الزخرف:٨٨][(١)].

٢. إيثار النداء بالاسم الدالّ على صفة الربوبيَّة: فالربّ هو المنعم المتفضّل «المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا،

---

(١) يعلل أبو السعود ذكر أداة النداء في الموضعين المذكورين مع أن المقام دعاء لمن هو أقرب إليه من حبل الوريد، ليعبّر بمدّ الصوت عن شدة أسفه على حالهم! ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/٩٨.

تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم؛ ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصّة))[1].

٣. تعريف المنادى بالإضافة إلى ضمير المتكلّم مفردًا ﴿رَبِّ﴾، وورد في اثنين وعشرين موضعًا من شواهد الدراسة، أو مثنى ﴿قَالَا رَبَّنَا﴾، وورد في ثلاثة مواضع، أو جمعًا ﴿رَبَّنَآ﴾، وورد في عشرة مواضع؛ وتأتي قيمة هذا التركيب من دلالته على الاعتراف التامّ بالربوبيّة، ورجاء في مقتضاها.

واختلفت صورة النداء في دعاء عيسى: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ [المائدة: ١١٤]، إذ نادى ربّه مرتين؛ مرةً بوصف الألوهية الجامعة لصفات الكمال المطلق، ومرةً بوصف الربوبيَّة المُنْبِئة عن التربية لإظهار غاية الإلحاح، والمبالغة في الاستدعاء والضراعة[2].

كذلك ورد نداء الربِّ مضافًا إلى ضمير الداعي مكرّرًا في أربعة شواهد؛ فكرِّر مرتين في دعاء موسى على فرعون وملئه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ... ﴾ [يونس: ٨٨]، وكرّر مرّة في دعاء امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٥ – ٣٦]. وكرِّر مرتين في دعاء زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة: ١٦٤.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٩٨/٣.

وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم: ٢ - ٦]؛ وأربع مرات في دعاء المتفكّرين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۝١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٣].

وذلك لبثّ مزيد من الافتقار والتذلّل والتضرّع، والتلذّذ بالمناجاة، والإلحاح في الدعاء مع استشعار مقتضيات صفة الربوبيَّة بما تدلّ عليه من العناية والرعاية والتربية.

ثانيًا: التفنُّن في عرض الدعاء:

التفنُّن مصطلح معروف عند اللغويّين والبلاغيّين، ذكره العسكريّ (٣٩٥هـ) في معرض حديثه عن الترادف بقوله: ((المغايرة في اللفظ بين الفقرتين مع اتحاد المعنى تفنّن في التعبير، وهو في كلام الفصحاء كثير))[(١)]، وجعل السكاكيّ (٦٦٦هـ) المغايرة بين الأساليب القرآنية من التفنُّن[(٢)]، وذكر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أنّ تكرير الكلام في الغرض الواحد قد يثقل على البليغ، فإذا ورد بتفنّن في المعاني باختلاف طرق أدائها، وتفنُّن في الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات، وتفنّن في المحسنات البديعيّة المعنويّة واللفظيّة بلغ الغاية القصوى في البلاغة، فالتفنُّن وجه من وجوه الإعجاز[(٣)]. وهو كذلك نوع من أنواع التصريف في القول[(١)].

---

(١) الفروق اللغوية: ٣١٧.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٩١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٨/١.

وفيما يأتي تفصيل هذا النوع من التفنّن الذي يتعلّق بعرض الدعاء؛ إذ تغايرت طرق عرضه في شواهد الدراسة ما بين الطلب المباشر، وهو الأكثر، إلى الطلب غير المباشر، إلى الإخبار عنه دون حكاية، وفيما يأتي تفصيلها:

١. **الطلب المباشر:**

ورد الدعاء في شواهد الدراسة بأسلوبَي الطلب المباشر الأمر والنهي، وصيغة فعل الأمر هي الأغلب، ووردت في ستة وأربعين موضعًا، ووردت صيغة النهي في موضعين اثنين: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٩٤]، ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩].

٢. **الطلب غير المباشر:**

ورد الدعاء محكيًّا بطلب غير مباشر -أي: دون صيغتي الأمر أو النهي المرتبطتين به في الأصل - إما بعد النداء أو دون نداء. وذلك في ثمانية مواضع:

استهلّ الدعاء في خمسة منها بالنداء، لكن جاء بطلب غير مباشر دون صيغ الأمر أو النهي بطريقين:

الطريق الأولى من الطلب غير المباشر بالنداء: التقييد بالشرط بعد مقدِّمة تناسب مقامه وورد في ثلاثة مواضع: موضعين منها بعد الاعتراف بالزلل؛ هما: دعاء آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]. ودعاء نوح: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود:

---

(١) للاستزادة من أساليب تصريف القول في القرآن، ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم لعبدالله النقراط، وإعجاز التصريف في البيان القرآني لزينب كردي.

٤٧]، بما يتناسب مع مقام الاستعطاف، وورد في موضع ثالث من مقام الصبر وانتظار الفرج، هو: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣]. عرض فيه يوسف عليه السلام الطلب غير المباشر بالتقييد بالشرط لصرف كيد النساء، وقدّم لذلك التقييد بمقدِّمة في حسن الصبر واحتماله لوجه الله، وقبح المعصية، بما يتناسب مع مقام الصبر وانتظار الفرج، ثم فزع منها إلى ألطاف الله وعصمته، والدعاء باللطف[1].

الطريق الثانية: الإخبار بجملة اسميّة خبريّة بضرب إنكاريّ مؤكّد باسميّة الجملة وإنّ: ووردت في موضعين من قصّة موسى عليه السلام؛ هما: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه: ٤٥]، و ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤]. جاء الموضعان متعلّقان بالفعل (قال)، فهما في محل نصب مقول القول[2].

واقتصر في ثلاثة مواضع على شكوى الحال دون نداء، وبطلب غير مباشر، وذلك بطريقين الأولى بالإخبار بجملة مصدرية خبريّة بضرب إنكاري مؤكّد باسميّة الجملة وأنّ، وورد في موضعين من قصّة أيوب عليه السلام؛ هما: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤١]. وجملة الطلب غير المباشر تكون في محل نصب على نزع الخافض، وتُعلَّق بالفعل ﴿نَادَىٰ﴾ بتقدير: نادى

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٦٧.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٩٦/٦.

بأنّي[1]. وكم أظهرت هذه القصّة الأدب النبويّ الجليل في مناجاة الخالق ﷻ! فأيّوب عليه السلام مع عظم البلاء، لم تستول عليه الحيرة، أو يفترسه الجزع، بل ظلّ صابرًا صامدًا هادئ النفس ثابت القلب، رطب اللسان بذكر الله، والثناء عليه، فجاء دعاؤه محكيًّا بطلب غير مباشر بمقدِّمة تشرح الحال، بالتعبير بمس الضرّ بما يناسب مقام الصبر وانتظار الفرج.

والطريق الثانية من الطلب غير المباشر دون نداء توحيد الله وتنزيهه، وتذلّل العبد، وختم الدعاء باعتراف بالزلل بما يتناسب مع مقام الاستعطاف، وورد ذلك في دعاء يونس عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٣. لإخبار عن الدعاء دون حكايته:

ورد الإخبار عن الدعاء بوروده سردًا دون حكاية في أربعة مواضع: اثنان منها في قصة نوح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥]، والموضع الثالث في قصة يونس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾﴾[القلم: ٤٨ -٤٩]، والرابع في قصة المجاهدين في غزوة بدر[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٩].

---

(١) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن: ٢/٧٣١، وإعراب القرآن وبيانه: ٦/٣٥١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/١٦.

ثالثًا: التقديم للدعاء:

ورد الدعاء في عشرة مواضع من الطلب المباشر بتقديم يتناسب مع المقام الذي ورد فيه الدعاء. ففي الاستعطاف ورد التقديم للدعاء في أربعة مواضع، قدّم فيها للطلب بالاعتراف بالزلل، أو بالإقرار بالتوحيد، أو بالتوسل بالأعمال الصالحة، فمن التقديم بالاعتراف بالزلل[1] دعاء موسى عليه السلام حين قضى على القبطي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

ومن التقديم بإقرار بالتوحيد دعاء المتفكّرين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١]، ومن التوسُّل بالإيمان دعاء المتفكّرين أيضًا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. ودعاء النصارى الذين اهتدوا إلى الإيمان بالله: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا﴾ [المائدة: ٨٣].

وورد الدعاء في ثلاثة مواضع أُخَر في مقام الصبر وانتظار الفرج مسبوقًا بمقدِّمة تشرح الحال يعقبها طلب مباشر؛ كما في دعاء امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ...﴾ [آل عمران: ٣٥]، حيث قدّمت لطلبها بخبر مؤكَّد عن نذرها أعقبته بطلب القبول، ودعاء زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾ [مريم: ٥]. حيث قدَّم لطلبه بإظهار الضعف الذي عمّ جسده، وبثّ خوفه على الدعوة الذي دفعه إلى طلب ذرية تتولّاها من بعده.

---

(١) كما يرد الاعتراف بالزلل في تقييد بالشرط بطلب غير مباشر، ينظر ص١١٤ من هذا البحث.

وورد التقديم للدعاء بما يتناسب مع مقام الاستنصار في أربعة مواضع؛ موضعان منها بمقدِّمة بثٍّ تشرح الخوف على الدعوة لطلب التأييد، يعقبها الطلب المباشر وَردَا عن موسى عليه السلام حين طلب التأييد للدعوة: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢ – ١٣]، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القصص: ٣٣ – ٣٤]، والموضعان الآخران بعد اليأس من استجابة القوم، وهما ما جاء عن نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٧– ١١٨]، وعن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المائدة: ٢٥].

رابعًا: تكرار الألفاظ في الطلب:

المتدبّر في مواضع الدعاء والاستجابة يلحظ تَكرار الطلب بألفاظ معيَّنة، وفيما يأتي رصْد لأبرزها مقدِّمة -قدر الإمكان- ما ورد في مقام الاستعطاف، ثم الصبر وانتظار الفرج، ثم الاستنصار بالله وَفقًا للترتيب السابق في المبحث الأول:

١. طلب المغفرة: ورد في سبعة مواضع، أربعة منها في مقام الاستعطاف بطلب مباشر بصيغة فعل الأمر: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، و﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، و﴿فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص: ١٦]، و﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ [ص: ٣٥]، والخامس في استنصار المقاتلين في المعارك: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، حيث استهلُّوا دعاءهم باستعطاف بإضافة

الـذنوب والإسـراف إلى أنفسـهم، وتقـديم الاسـتغفار علـى طلـب تثبيـت الأقدام، ليكون استنصارهم أقرب إلى الاستجابة.

وورد بطريـق غـير مباشـرة بالتقييـد بالشـرط[1] في موضـعين في مقـام الاستعطاف؛ هما: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعـراف: ٢٣]، و﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

٢ـ طلـب الرحمـة: جـاء في خمسـة مواضـع منهـا الموضـعان السـابقان المقرونـان بطلـب المغفـرة، والثالـث في طلـب موسـى المقـترن بـالمغفرة كـذلك: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعـراف: ١٥١]؛ إذ ورد فيـه معنـى الرحمـة في ثلاثـة ألفـاظ، وعبّـر بـالإدخال: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ على وجه الاستعارة لشمول هذه الصفة -الثابتة لله- له ولأخيه «في سـائر أحوالهمـا، بحيـث يكونـان منهـا، كالمسـتقر في بيـت أو نحـوه ممـا يحوي؛ فالإدخال استعارة أصلية، وحرف ﴿فِي﴾ استعارة تبعية، أوقع حرفه الظرفيّة موقع باء الملابسة»[2]. وتـابَع التعلّـق بصـفة الرحمـة بالتذييل بالجملـة الحاليـّة: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ التي تتضمّن أبلغ الثناء على الله بصفة الرحمة، وهذه المواضع الثلاثة في مقام الاستعطاف.

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبيـاء: ٨٣]، وفيه تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وربّه

---

(١) ورد الحديث عن الطلب غير المباشر ص٢١ من هذا البحث.

(٢) التحرير والتنوير: ١١٨/٩.

بأبلغ صفاتها، ولم يصرح، فألطف في السؤال، فكان أجدر بالنوال[1]، وكذا ورد في دعاء أصحاب الكهف ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠][2].

٣. طلب العطاء بـ (آت): ورد في ثلاثة مواضع؛ اثنان منها في مقام الاستعطاف: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ [آل عمران: ١٩٤]، والثالث في مقام الصبر وانتظار الفرج: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

٤. طلب العطاء بـ ﴿هَبْ﴾: ورد في خمسة مواضع، أربعة منها في مقام الصبر وانتظار الفرج؛ هي: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: ٢-٧]، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، والخامس وردت فيه مقرونة بالمغفرة في مقام الاستعطاف: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥]. والهبة عطيّة خالية عن الأعواض والأغراض، ففي استعمالها إشعار بالتفضُّل والإحسان من غير سبب، ولا عمل ولا معاوضة[3].

٥. الدعاء بـ ﴿ٱجْعَل﴾: ورد في خمسة مواضع؛ موضعان في الصبر وانتظار الفرج: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان: ٧٤، وفي الاستنصار ثلاثة مواضع: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ [آل عمران: ٤١]، و[مريم: ١٠]، ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩﴾ [طه: ٢٩].

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ١٢/٤٦٢.

(٢) سيرد تحليل هذا الأسلوب بالتقييد بالظرفية ص٢٧ من هذا البحث.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣/٣٢، ولسان العرب: وهب.

٦. طلب النصر في أربعة مواضع في مقام الاستنصار: ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. و[آل عمران: ١٤٧]، و﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٦ و ٣٩].

٧. طلب النجاة في موضعين في مقام الاستنصار: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾ [الشعراء: ١١٨]، ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩﴾ [الشعراء: ١٦٩].

٨. طلب تثبيت الأقدام في موضعين في مقام الاستنصار: ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، و[آل عمران: ١٤٧]. والتثبيت معناه عدم التزلزل في ساحة القتال ومواطن النزال، مما يصوِّر كمال القوّة والرسوخ عند المقارعة، وهو معنويّ، يراد منه انتفاء الهرب وقت المعركة[(١)]. وعلى هذا يمكن عدّه كناية يشترك في تصويرها المعنى الأصليّ ولازمه، فالأصل ثبات أقدام المقاتلين في الرمل؛ إذ الخائف لا تثبت قدمه في المكان، بل تنتقل، وتهتز من غير اختيار[(٢)]، ولازمه قوّة القلوب والصمود والشجاعة وانتفاء الخوف من الأعداء، من قولهم: رَجُل ثابت القدَم، وثَبْت الجَنان، وثَبْت وثَبِيت مِن رجال ثُبَّت، أي: متماسكون شجعان[(٣)].

خامسًا: التقييد بالجرّ والظرفيّة:

ورد التقييد في الدعاء بطرق ثلاثة هي التقييد بالجرّ أو بالظرفيّة أو بهما معًا، وفيما يأتي تفصيلها:

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤/٤٦٩، وإرشاد العقل السليم: ١/٢٤٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣/١٩٣.

(٣) ينظر: أساس البلاغة، ولسان العرب: ثبت.

١. التقييد بالجرّ:

أدّى التقييد بالجرّ معنى التبعيض، ورصدت له الدراسة خمسة شواهد؛ هي: قول الله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٧]، وقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣]، وقوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقوله: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

ومما يسترعي النظر في الشواهد السابقة جميعها سواء قيدت بالشرط، أو بإقرار بالذنب وإعلان للتوبة، ورود الصفة فيها معلّقة بـ ﴿مِنَ﴾ لتدلّ على معنى أعمق في سياقها، وفيما يأتي تحليل النظم الوارد في جملة: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ إذ حوت أكثر الظواهر الأسلوبية التي تُطبَّق على غيرها:

١. التعبير بفعل الكون: فأسند إليهما فعل الكون الدالّ على رسوخ الوصف، وجعل الخبر أنهما فردان من فريق الخاسرين، وهو أدلّ على أرسخيّة الوصف[(١)].

٢. توكيد الفعل الناسخ في جواب الشرط على تعميق الإحساس بتجدّد الاتصاف بصفة الخسارة، إن لم تدركهما مغفرة الله ورحمته.

٣. تقوية الدلالة بحرف التبعيض ﴿مِنَ﴾ لمعنى الدخول في زمرة من يتّصف بالصِّفة، وهذا ما أوحى به قولهما: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، دون أن يقولا: لنخسرن، أو لنكوننّ خاسرين، وفيه دلالة أقوى على

(١) التحرير والتنوير: ١٣٢/١٧.

الإحساس بالذنب؛ ويكثر هذا الحذف قبل الألف واللام داخلاً عليه ﴿مِنَ﴾ التبعيضيّة، فيتعلّق الجارّ بمحذوف تدلّ عليه صلتها فيه للإشعار بأنّ المحذوف وتقديره: (خاسرَين) هو بعض المذكورين بعد بتقدير: لنكونن خاسرَين مِن الخاسرين؛ وبذلك تقوى الدلالة عليه[1]، ففي هذا التركيب إثبات الوصف لموصوف ضمن جماعة يثبت لهم ذلك الوصف؛ ليكون أدلّ على التمكّن بناء على أن الإنسان يزداد تمسُّكًا بعمله إذا شاركه فيه جماعة؛ فبمقدار ما يرى منهم تلبُّسًا بمثل فعله تبعد نفسه عن التردّد في سداد عملها[2].

٢. التقييد بالظرف:

رصدت الدراسة ثلاثة مواضع في تقييد الدعاء بالظرف ﴿مَعَ﴾؛ هي: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣]، و﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣]، و﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: ٨٤].

إيثار التعبير بالظرف الدالّ على المعيّة يبيّن أنهم قيّدوا أطماعهم بالدخول مع أهل الطاعة؛ لما تدّل عليه المعيَّة من نعيم مضاعف في جمال المستقرّ والصحبة، فتمكّن الإيمان من قلوبهم يجعلهم يحبُّون أهل الصلاح، ويشعرون أنهم ينتسبون إليهم برابطة الدين التي تمثل آصرة نسب قوميّة بينهم، يودّون أن ينالوا بها شرف معيّتهم واللحاق بمنازلهم ودرجاتهم راجين عفو الله موقنين بوعده ﷻ في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ

---

(١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ١/ ٢٣٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٤٢٧.

ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩].

٣. التقييد بالجرّ والظرف معًا:

وورد تقييد الدعاء بالجارّ مع الظرف ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ في ثلاثة مواضع؛ هي: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٩]، و﴿ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ الكهف: ١٠، و﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥].

والتقييد بهما لتعظيم شأن الطلب وتخصيصه وبثّ مزيد توكيد وتضرّع؛ لأن في ﴿مِن﴾ معنى الابتداء، وفي ﴿ لَّدُنكَ ﴾ معنى العندية والانتساب، فالتقييد بهما أبلغ مما لو قدم الطلب دونهما؛ إذ الخلق كلهم بمحل الرحمة والرعاية من الله، لكن التقييد فيه فضل عناية، وطلب لرحمة خاصّة[1].

سادسًا: تناسب الدعاء مع خاتمته:

المتدبّر في شواهد الدراسة يلحظ أن بعض الدعوات وردت بخاتمة تناسبت مع الدعاء في اللفظ أو في المعنى، وفيما يأتي تفصيل كل منهما:

١. التناسب في اللفظ (ردّ الكلام على صدره):

ردّ الكلام على صدره هو المحسن اللفظيّ الذي يأتي فيه آخر الكلام موافقًا لأوله، فيجعل أحد اللفظين المتشابهين اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبهه، في أول الفقرة، واللفظ الآخر في ختامها[2]. ولعلّ إيثار هذا المصطلح -كما سماه البغدادي (٥١٧هـ) [3] -أنسب مما عُرف عند البلاغيين

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٢٦٦.

(٢) ينظر: الطراز: ٣/١٩٨، والقول البديع: ٨١.

(٣) ينظر: قانون البلاغة: ٤٥٠.

بالتصدير، أو ردّ العجز على الصدر ؛ لوضوح دلالته على مسمّاه أكثر من الأول، وخلوّه من الدلالات التي يحملها الثاني، ولا تتناسب مع مقام القرآن الكريم. وورد هذا النوع من التناسب في أربعة مواضع ؛ هي: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وقوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ويلحظ المتدبِّر أنّ المواضع الأربعة جميعها رُدّ آخر الكلام فيها على صدره، حيث ختمت بتذييل يتضمّن ثناء على الله بجمل خبريَّة مؤكَّدة مأخوذة من لفظ صدر الكلام، ففي الموضع الأول جاء الدعاء بطلب تحقيق وعد الله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، وأثني عليه بأنه صادق وعده لعباده بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾. وتضمَّن الموضعان الثاني والثالث ثناءً باسم تفضيل مضاف إلى صفة من صفات تناهي الكمال تناسب لفظ الدعاء ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. في حين تضمّن الموضع الأخير ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ ثناءً بجملة خبريّة مؤكّدة بقصر بتعريف الطرفين، مع ضمير فصل وخبرٍ مؤكّدٍ بصفة من صفات تناهي الكمال.

٢. التناسب في المعنى (تناسب الأطراف):

قد يأتي التناسب بصفة من صفات تناهي الكمال تناسب معنى الدعاء، وهو ما يسمّى تناسب الأطراف[1]، وعرّفه ابن معصوم (١١٢٠هـ) بأنه:

---

(١) ينظر: أنوار الربيع: ٢٥٩.

((أن يبتديَ المتكلم بمعنًى، ثم يتمِّم كلامه بما يناسبه في المعنى دون اللفظ))[1]، وذكر أنّ الخطيب أدخله في مراعاة النظير وسماه تشابه الأطراف[2]، لكن ابن معصوم رأى أنّ مصطلح تناسب الأطراف أولى لمطابقته لمسماه، وهذا ما يميل إليه البحث لسبب المطابقة الذي ذكره ابن معصوم، ولأنه كذلك يظهر الفرق بينه وبين ردّ الكلام على صدره باختيار التناسب دون التشابه، وورد في ثلاثة مواضع؛ هي: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥]، و﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾[آل عمران:٣٨]، و﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء:٨٩].

وهذه الخواتيم كلّها وردت في مقامي الاستعطاف والصبر وانتظار الفرج، أمّا مقام الاستنصار؛ فجاء دون خاتمة، ربما لضيق المقام؛ لأنه في مقام الدعوة أو القتال.

المبحث الثالث

المظاهر الأسلوبية في الاستجابة

أولاً: استهلال الاستجابة:

جاء استهلال الاستجابة بطريقين: الاقتران بالفاء، والفصل. وفيما يأتي تفصيلهما:

١. استجابة مقترنة بفاء التعقيب:

ورد هذا النوع من الاستجابة بطرق أربع: بالتصريح بلفظه معلَّقًا بلام الاختصاص، أو بفعل مشتقّ من لفظ الطلب في الدعاء، أو بالجمع بينهما، أو بأفعال مختلفة غير ما ذكر، وفيما يأتي تفصيلها:

---

(١) أنوار الربيع: ٢٥٩.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٤٩٠.

● **التصريح بفعل الاستجابة:**

ورد في سبعة مواضع بصيغة المضي للدلالة على تحقق الوقوع، مع تعليقه بلام الاختصاص مضافًا إلى ضمير المحكي عنه في طلب الدعاء لمزيد عناية بالداعي وتشريف له[1].

أسند فعل الاستجابة في ثلاثة منها إلى الله باسمه الدال على الربوبيّة أو بالضمير العائد إليه، للدلالة على ما تقتضيه الربوبية من التربية والرعاية، كما في الاستجابة ليوسف ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٤]، وللمتفكّرين في الآفاق: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وللمقاتلين في المعارك ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وأسند الفعل إلى الله باسمه الدال على الإلهية المطلقة أو بضمير العظمة العائد إليه للدلالة على استجابة عظيمة بمعجزة لا يقدر عليها إلا من له الإلهية المطلقة، ووردت في أربعة مواضع بالتركيب نفسه في سورة الأنبياء مرتبة بترتيب الأنبياء نوح وأيوب ويونس وزكريا: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٦، ٨٤، ٨٨، ٩٠].

● **اشتقاق فعل الاستجابة من لفظ الطلب في الدعاء:**

ورد الفعل بصيغة المضي مسندًا إلى ضمير العظمة أو إلى الاسم الدال على صفة الربوبية أو إلى الضمير العائد عليه في أربعة مواضع: في دعاء نوح: ﴿وَنَجِّنِي﴾ كانت الاستجابة: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ [الشعراء: ١١٨ – ١١٩]. وفي دعاء لوط: ﴿نَجِّنِى﴾ كانت الاستجابة: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [الشعراء: ١٦٩ – ١٧٠]. وفي دعاء موسى: ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥ﴾ [القصص: ١٦]. وفي دعاء امرأة عمران: ﴿فَتَقَبَّلْ﴾ كانت الاستجابة: ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٧].

● **الجمع بين فعل الاستجابة والفعل المشتق من الطلب:**

ورد الفعل بصيغة المضي معطوفًا بالفاء على فعل الاستجابة الصريح في موضعين:

---

(١) ورد تحليل أسلوب الاستجابة ص١١١ من هذا البحث.

في دعاء أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ كانت الاستجابة: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ...﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٨٤]، وفي دعاء يوسف: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ كانت الاستجابة: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ...﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٤]، ففي الموضع الأول اشتقت الاستجابة من معنى طلب الرحمة وكشف الضرّ، وفي الثاني من لفظ الطلب نفسه.

● الاستجابة بأفعال مختلفة:

وردت الاستجابة بعد فاء التعقيب بأفعال مختلفة غير ما ذكر من الأنواع الثلاثة المذكورة، تحقّقت في الدنيا في ثمانية مواضع، ووردت بوعد مؤكّد التحقّق في الآخرة في موضع واحد، ووردت جامعة بين الدنيا والآخرة في موضعين.

- الاستجابة بفعل تحقّق في الدنيا:

وذلك في الاستجابة لكلٍّ من نوح: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ...﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وإبراهيم: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، ويونس: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وزكريا: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ويحيى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ...﴾ [آل عمران: ٣٩]، وزكريا: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ...﴾ [آل عمران: ٣٩]، وموسى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ...﴾ [القصص: ٢٥]، والمقاتلون في المعارك: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ...﴾ [البقرة: ٢٥١]، وأصحاب الكهف: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: ١٠ . ١١].

بتدبُّر هذه الاستجابات جميعها تتجلّى رحمة الله بأنبيائه وعباده المؤمنين؛ حيث استجاب لهم بأفضل مما دعَوا، وآتاهم سؤلهم بمعجزات وكرامات إلهية أعقبت أحوالهم قبل الدعاء.

- الاستجابة بوعد مؤكّد التحقُّق في الآخرة:

وردت الاستجابة للنصارى الذين اهتدوا للإيمان: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا....﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٤].

- الاستجابة الجامعة بين الدنيا والآخرة:

وذلك في الاستجابة لسليمان: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ .... ﴾ ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص: ٣٦، ٤٠]؛ فدلّت الاستجابة على رضى من الله عمن أقبل عليه بقلب سليم! وإذ صدق التوبة وأناب؛ فله قربه وكرامة مع هبة الملك العظيم، ففيه إشارة إلى أنّ ملكه لا يُنقِص شيئًا من مقامه عند الله؛ لأنه اتقى الله فيه، واستعمله في طاعته، وأدّى حقّ الله فيه.

وجاءت الاستجابة للربّيين المقاتلين في المعارك: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ١٤٨] مكافأة بثواب الدنيا، وهو هزيمة الأعداء، عُطف عليها الثواب الحسن في الآخرة؛ لأن دعوتهم جمعت بين الدارين، فكانت الاستجابة لهما معًا بأسلوب اللفّ والنشر غير المرتّب[1]، ففي الدعاء قدّم طلب المغفرة وهو الآخرة على الدنيا، لكنّ الاستجابة قدّمت ثواب الدنيا؛ لمناسبة مقام القتال الذي تتطلّع فيه النفوس إلى النصر، وخصّصت ثواب الآخرة بالحسن إيذانًا بفضله ومزيته، فهو المعتدّ به عند الله[2].

---

(١) اللف والنشر: ((هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرده إليه)). الإيضاح: ١٨٥/٢.

(٢) ينظر: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ٨٩.

٢. استجابة بالفصل:

ورد هذا النوع من الاستجابة بطريقين؛ إما بـ ﴿ قَالَ ﴾ موافقًا الدعاء بـ ﴿ قَالَ ﴾ بالفصل، أو بجملة اسمية لأمر تحقّق في الدنيا، أو بوعد مؤكّد التحقُّق في الآخرة، وفيما يأتي تفصيلهما:

● الاستجابة بـ ﴿ قَالَ ﴾ موافقةً الدعاء بـ ﴿ قَالَ ﴾ بالفصل:

وردت في اثني عشر موضعًا على طريقة المحاورات بـ﴿ قَالَ ﴾: وهذه من عادات القرآن التي ذكرها ابن عاشور (١٣٩٣هـ)؛ فمن أساليبه أنه ((إذا حكى المحاورات والمجاوبات حكاها بلفظ قال دون حروف عطف، إلا إذا انتقل من محاورة إلى أخرى))[1]؛ فجاءت الاستجابة لآدم وحواء بهذه الطريقة في: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا... ﴾ ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ [الأعراف: ٢٣، ٢٤]، ولهود أو صالح في: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى ... ﴾ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٩، ٤١].

وكانت الاستجابة لموسى، في ستة مواضع: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً...﴾ [المائدة: ٢٥ - ٢٦]. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ...﴾ ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ... ﴾ [يونس: ٨٨ - ٩٠]. ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٢٥، ٣٦]. ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ ...﴾ ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ﴾ [طه: ٤٥ - ٤٦]. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾ ﴿ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ...﴾ [الشعراء: ١٢، ١٥]. ﴿قَالَ رَبِّ

---

(١) التحرير والتنوير: ١/١٢٥.

إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص: ٣٣ – ٣٥].

وكانت الاستجابة لزكريا عليه السلام، في موضعين: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ... ﴾ [آل عمران: ٤١]. ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ ...﴾ [مريم: ١٠]. واستجيب لعيسى في قول الله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً...﴾ ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ...﴾ [المائدة:١١٤و ١١٥].

كذا وردت الاستجابة بـ(قيل) بالبناء للمفعول لنوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ...﴾ ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ ...﴾ [هود: ٤٧ و ٤٨] للدلالة على ((أنّ تلك الأمور العظام لا تتأتى إلاّ من ذي قدرة لا يُكتنه، قهّار لا يُغالَب، فلا مجال لذهاب الوهم على أن يكون غيره جلّت عظمته))[1].

● الاستجابة بالفصل بجملة اسمية لأمر تحقّق في الدنيا، أو بوعد مؤكّد التحقُّق في الآخرة:

وورد هاتان الطريقان من الاستجابة بجملة اسميّة، إمّا مبدوءة باسم إشارة للثناء على الداعي، أو مبدوءة بإنّ والموصول للتعريف بفئتي الاستجابة العامّة، وفيما يأتي تفصيل هاتين الطريقين:

١. استجابة بالفصل لأمر تحقّق في الدنيا، وذلك في موضعين: لأيوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ... ﴾ [ص: ٤٢]، ولزكريّا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ...﴾ [مريم: ٧].

---

(١) مفتاح العلوم: ٤١٩.

٢.استجابة بالفصل بوعد مؤكّد التحقُّق في الآخرة بجملة اسميّة خبريّة للدلالة على الثبوت والدوام[١]، وذلك في أربعة مواضع: جاءت الاستجابة في ثلاثة منها مصدّرة باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للثناء على الداعي والإخبار بجزائه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠١ – ٢٠٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٧٤ – ٧٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ....﴾ [الأحقاف: ١٥ – ١٦]. وفي تعريفهم بالإشارة تمييز لهم، وإحضار في ذهن السامع حسًّا[٢] لبيان أن ما ذُكر من النصيب العظيم لهم يجلّي علوّ الدرجة، وبُعد المنزلة في الفضل، مع التنبيه على أنهم من أجل تلك الأوصاف والأدعية الصادقة جديرون باكتساب ما ورد بعد الإشارة[٣].

وأتت الاستجابة في الموضع الرابع بالفصل بجملة اسمية مبدوءة بإنّ والموصول بوعد عامٍ مؤكّد التحقق في الآخرة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف: ١٥١ – ١٥٣]، وتعريفهم بالموصوليـــة، لإحضارهم إلى الذهن بصفة

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٧٤، والإيضاح: ٢/ ١٣٣.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٧٥-٢٧٨، والطراز: ١٤٦/٣.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٢٠/٢.

عرفوا بها[1] ؛ ولأنه مؤذِن بسببيَّـــة ما نزل من عقاب لاتخاذهم العجل، مع ظهور آثار الغضب من الخذلان ومنع العناية، أمّا الغضب نفسه، فهو حاصل في الحال[2].

ثانيًا: تناسب الاستجابة مع خاتمتها:

١. التناسب في اللفظ (ردّ الكلام على صدره):

تناسبت الاستجابة مع خاتمتها في اللفظ في أربعة مواضع: وردت في اثنين منها، بجملة خبرية اسمية لإفادة الثبوت، تتضمن ثناء مؤكدًا على الله ﷻ؛ أولهما: قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فرُدَّ الكلام على صدره بتناسب معجز فذكر الثواب بالنكرة، وكرِّر بالمعرفة. وكرِّر قيد العنديّة مع اسم الله الذي يدلّ على الإلهيّة المطلقة، لتعظيم شأن التفكّر، وما نتج عنه من دعاء واستجابة عظيمة ناسبت جلال الموقف ومكانة الفئة الداعية. وثانيهما: قوله تعالى: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦]، وجاءت الاستجابة فيه بجملة اسمية خبرية مؤكدة باسمية الجملة، وإنّ والقصر بتعريف الطرفين، وبضمير الفصل؛ للدلالة على اختصاص الله وحده بالغفران والرحمة.

وفي الموضع الثالث جاءت الاستجابة بجملة خبرية اسمية تتضمّن امتنانًا مؤكّدًا من الله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨]، يدلّ على أنّ تلك الاستجابة الإلهية والعناية الربانية كانت بسبب ما وقر في قلبه من الإيمان. ويلفت النظر في ردّ الكلام على صدره في هذا الشاهد إيثار الفعل ﴿نُنجِى﴾ دون تضعيف، فهو إخبار عامٌّ يدلّ على السرعة، وليس لطمأنة شخص معين[3].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٧٣، والطراز: ٣/١٤٦-١٤٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٩/١١٩.

(٣) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١/١٢٢.

ووردت الاستجابة في الموضع الرابع بجملة فعلية، تفيد الذم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٣]، سمي ما أصابهم من الحجارة مطرًا لنزوله من الجوّ، وقيل هو مقذوفات براكين في بلادهم أثارتها زلازل الخسف[1]، وأُظهر الاسم في موضع الإضمار؛ لتقوية استقلال الجملة، والتسجيل عليهم بأنهم أُنذروا، فلم ينتذروا.

٢. التناسب في المعنى (تناسب الأطراف):

تناسبت خواتيم الاستجابات في المعنى مع بداياتها بأربعة طرق؛ هي: الثناء على الله، والثناء على العباد، والجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة، وذم المهلَكين.

- **الثناء على الله:**

ختمت الاستجابة بالثناء على الله في أربعة مواضع؛ هي:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٢]. فختمت الاستجابة بجملة خبرية بدئت باسم الله الدالّ على الإلهيّة المطلقة لتدلّ على سعة العلم وشمول القدرة.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١]؛ وجاء طرف الآية متناسبًا مع مضمونها؛ إذ استؤنفت الاستجابة بتقييد بالشرط بثّ الثناء على الله بالفضل العظيم على أولئك المؤمنين في مقام الشكر[2].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/ ١٨١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٥٠٣.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف: ٣٤]، فختمت الاستجابة بجملة خبرية مؤكّدة صفتي السمع والعلم بالقصر وبضمير الفصل وبتعريف الطرفين.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٦].

ختمت الاستجابة بالتذكير بأن الله قد صدقهم وعده، وجاءت بجملة التذييل المبدوءة بالمفعول المطلق ﴿وَعْدَ﴾[1]، وكرِّر بصيغة الفعل الماضي المبني لما لم يسمّ فاعله ﴿يُوعَدُونَ﴾ للتعظيم والإيجاز؛ فالرسل قد وعدوهم به عن الله أصدق القائلين.

- **الثناء على العباد:**

خُتمت الاستجابة في خمسة مواضع بصفات ثناء على العباد، تناسبت مع مضمون دعواتهم الواردة، وفيما يأتي تفصيل تلك الصفات ومواضعها:

- صفة الإحسان: وردت في ثلاثة مواضع: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المائدة: ٨٥]، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الصافات: ٨٠]، ذيلت الاستجابة فيها بالإشارة بالبعد دلالة على علوٍّ في المنزلة استحقّه الداعون لاتصافهم بالإحسان، وفي هذا الأسلوب حضّ على التأسّي بهم؛ لذا عبّر بالاسم الظاهر ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بدلاً من أن يقال: ذلك جزاؤهم؛ لتقوية استقلال الجملة، والثناء عليهم بصفة أثمرت لهم استجابة الدعاء بأن يكونوا مع الشاهدين الصالحين، فقد أحسنوا الندم

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٩.

والاستعطاف، وما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان، وهو ما استجاب لهم به من المحسن ﷻ.

- صفة الإيمان: وردت في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء:٨٨]. ودلّت الإشارة مع التشبيه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ على أنه مثل ذلك الإنجاء الذي نجّى الله به يونس عليه السلام، يُنجي به المؤمنين من الكروب والغموم، إذا صدقوا التوبة، وتضرّعوا بإخلاص. وفي هذا تعريض للمشركين بأنّ الله منجي المؤمنين من الغمِّ الذي يلاقونه من سوء معاملتهم[1].

- صفات المسارعة في الخيرات والخشوع والدعاء برغبة ورهبة: وهي صفات متتابعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]. جاءت بعد ذكر قصص الأنبياء، التي حفلت بها سورة الأنبياء بدءًا بقصة نوح عليه السلام التي جاءت في مقام الاستنصار بالله، حين دعا ربّه أن ينجيه من الكرب العظيم الذي سببه له قومه بالتكذيب، وتوالت هذه القصص، وتشابهت في طريق عرضها؛ إذ كلّ من هؤلاء الأنبياء نادى ربَّه بما لا يقدر عليه إلاّ هو ﷻ؛ فتوالت المعجزات بالدعاء الصادق، ثم أثنى عليهم عمومًا؛ لتربية النفوس على التعلُّق بالله وحده في الشدائد. وعُلِّلت الاستجابة لتلك الدعوات بمعجزات أكرمهم الله بها، بأنها كانت برصيد سبق لأولئك الأنبياء في الإخلاص؛ وتضمّن هذا التعليل من أحوالهم ما يُلتذّ بذكره، ويُقتدى به مما ينبغي أن يضعه الداعي نُصب عينيه أسوة بهم، وقربة إلى الله، ورغبة في استجابة الدعاء.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧/١٣٣.

وأولى تلك الشروط المسارعة في الخيرات بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، والمسارعة في طاعة الله من أكبر ما يمدح به المرء؛ لأنها تدل على حرص عظيم على الطاعة، كما حُكي عن كليم الله عليه السلام في قوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة طه]، وهذه المسارعة اتصف بها أنبياء الله، فكانوا مع استقرارهم وثباتهم في أصل الخير، يتوجّهون دومًا إلى الخيرات على مبادرين مسابقين.

ووُصلت المسارعة في الخيرات بثناء آخر هو قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الذي بيّن استحضارهم جلال الله وعظمته، والإيمان بكماله وصفاته راغبين في رحمته، راهبين خائفين من عقابه على عظيم أفعالهم.

ومن الصفات التي تجلّت كذلك في أنبياء الله أنهم مخبتون لله وحده، خاضعون بخوف عظيم يبعث على الانكسار والخشوع لجلاله وعظمته، كما قال عنهم جل جلاله: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، وكُرِّر الفعل كان لتأكيد تحقّق هذه الصفات فيهم جبلّة وطبعًا[1]، وفي تقديم الجار والمجرور دلالة على التخصيص، فهم يخصُّون الله وحده بالخوف والخشوع، وهذا لكمال معرفتهم بربهم.

- صفات الصبر والعبوديّة والتوبة: وردت هذه الصفات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤]. ففيها تشريف لأيوب عليه السلام، بتذلُّله وأدائه حقّ العبودية، وثناء عليه بفعل المدح مسندًا إلى صفة العبودية، معلّلاً بصيغة المبالغة ﴿أَوَّابٌ﴾ التي أثنى الله عليه بها. كما

(١) ينظر: نظم الدرر: ١٢/ ٤٧٠.

وردت هذه الجملة نفسها في مدح سليمان عليه السلام في السورة نفسها وكانت مقدمة لقصته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص: ٣٠].

- **الجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة:**

تناسبت الاستجابة مع خاتمتها بالجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة في موضعين في قصة أيوب، هما: قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٤]، وقوله: ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ص: ٤٣]، بذكر أن الاستجابة تحققت لأمرين اثنين؛ هما: صفة الرحمة التي وردت منكّرة لتعظيم شأنها بأن أيسر شيء منها يكفي العبد، وقيِّدت بحرف الابتداء معلقًا بصفة العندية أو ضمير العظمة للدلالة على اختصاص الله بها لعباده الصالحين مع تذكير العابدين وأولي الألباب للتأسّي بأيوب عليه السلام، فما كان الشفاء إلا لأجل أنّ الله رحمه، وحقّق ما امتلأت به نفسه من اتصاف الله بتناهي الكمال من صفة الرحمة.

- **ذمّ المُهلَكين:**

ختمت الاستجابة في ثلاثة مواضع بصفات ذمّ للمُهلَكين الظّلَمة تناسبت مع مضمون استفتاح الأنبياء عليهم، واستنصارهم بالله لتنجيتهم من أعمالهم، وفيما يأتي تفصيل تلك الصفات وشواهدها:

- قوم السَّوء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٦ – ٧٧].

والسَّوء بفتح السين مصدر يدلّ على القبيح المكروه الذي يؤذي النفس والطبائع السليمة، والمراد به الكفر والتكبر والعناد والاستهزاء بنبيهم؛ أمّا

السُّوء بالضم؛ فاسم مصدر، وهو أعمّ من المفتوح؛ إذ الوصف بالاسم أضعف من الوصف بالمصدر؛ وفي إضافة قوم إلى سَوء بالتنكير دلالة إلى أنهم اختصوا به، وعرفوا حتى صار وصفًا ثابتًا لهم جامعًا صنوف الرذائل[1].

- القوم الظالمون: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٩ - ٤١]. والقوم الظالمون هو الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]، واختير لهم هذا الوصف؛ إذ جمعوا بين ظلم أنفسهم، وظلم نبيِّهم هود، واتهامه بالكذب[2]. والتعريف في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ للاستغراق؛ فبسبب تلبُّسهم بهذا الوصف شملهم الهلاك ﴿فَبُعۡدٗا﴾، وهذا المصدر ومثله سحقًا ونحوهما، موضوعة مواضع أفعالها التي لا تأتي مظهرة معها[3].

- القوم الفاسقون: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة: ٢٥ - ٢٦]. وأصل الفسق من خروج الرطبة من قشرها[4]، وهو خروج مذموم يعدّ من الأدواء، والفسق في الشريعة خروج عن طاعة الله وعناد لرسله، ويدلّ الوصف المشتقّ على وصف ملازم لا يبغون عنه حِولًا، فاقتضت حكمة الله إضلالهم لعدم

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٢/١٧، ١١٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٩/١٨.

(٣) ينظر: الكشاف: ١٨٨/٣.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب: فسق.

صلاحيتهم للهداية، كما اقتضت حكمته هداية من اتصف بالإيمان وامتثل للطاعات واجتنب المنهيات، والفسق نوعان: نوع مخرج من الدين، وهو المقتضي للخروج من الإيمان، كالمذكور في هذه الآية ونحوها، ونوع غير مخرج من الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾[الحجرات: ٦][1].

❊ ❊ ❊

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٦٦/١، وتيسير الكريم الرحمن: ٤٧.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي كان من أعظم ثمارها تدبُّر المواقف الروحانية في موضوع التناسب المعجز في كتاب الله في مواقف يكون العبد فيها في أوج تذللّه لمولاه ﷻ، أحمد الله تعالى، وأثني عليه، وأصلي وأسلّم على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأجمل أبرز النتائج التي خرجت بها:

١. حصْر الآيات التي ورد فيها الدعاء متبوعًا بالاستجابة في أربعين موضعًا.

٢. تصنيف مقامات الدعاء المتبوع بالاستجابة في ثلاثة مقامات: مقام الاستعطاف، ومقام الصبر وانتظار الفرج، ومقام الاستنصار بالله.

٣. رصْد تسعة مواضع لدعوات مقام الاستعطاف تضمنت اعترافًا بالزلل وطلبًا للمغفرة والرحمة، وردت عن الأنبياء في سبعة مواضع، وعن غيرهم من المؤمنين في موضعين.

٤. رصْد ثلاثة عشر موضعًا لدعوات مقام الصبر وانتظار الفرج، اختص ثمانية منها بالأنبياء بعد الابتلاء، وجاءت خمسة منها دعوات للنفس والوالدين والأهل، يعلمها الله لعباده.

٥. رصْد ثلاثة عشر موضعًا لدعوات مقام الصبر وانتظار الفرج، صدر ثمانية مواضع منها عن الأنبياء والرسل في الابتلاء نحو الحرمان من الذرية، وفتنة كيد النساء، والمرض وفقد الأهل والمال، وخمسة لغير الأنبياء، جاءت في دعاء امرأة عمران، وأصحاب الكهف، ودعوات علّمها الله عباده لخيري الدنيا والآخرة للنفس والوالدين والأهل.

٦. رصْد ثمانية عشر موضعًا لدعوات مقام الاستنصار بالله صدر خمسة عشر موضعًا منها عن الأنبياء والرسل في طلب التأييد بآية للتصديق، أو التهيئة

للدعوة، أو بثّ مخاوفهم على الرسالة، أو شكواهم من التكذيب أو طلب النصرة، وثلاثة في استغاثة المؤمنين في المعارك باستمداد الصبر وطلب التثبيت والنصرة.

٧. تصنيف مطالب الدعاء ما بين مطالب في الدنيا وردت في سبعة وعشرين موضعًا، إلى مطالب في الآخرة وردت في ستة مواضع، إلى مطالب جامعة وردت في ستة مواضع.

٨. رصْد ثلاثين موضعًا غلب فيها استهلال الدعاء بالنداء في شواهد المقامات الثلاثة المذكورة.

٩. توصيف طرق عرض الدعاء ما بين الطلب المباشر بصيغتي الأمر في ستة وأربعين موضعًا، والنهي وورد في موضعين، إلى الطلب غير المباشر الذي ورد في ثمانية مواضع، إلى الإخبار عن الدعاء في أربعة مواضع.

١٠. رصْد عشرة مواضع قدم فيها للدعاء بما يتناسب مع المقام الذي ورد فيه.

١١. رصْد الألفاظ التي تكررت في الطلب، وهي طلب المغفرة، وطلب الرحمة، وطلب العطاء بـ (هب) و(آت)، و(اجعل)، وطلب النصرة، والنجاة وتثبيت الأقدام.

١٢. استنباط بلاغة التقييد بالجر أو بالظرفية أو بهما معًا ورصد الشواهد التي ورد في كل نوع منها.

١٣. رصد أربعة مواضع تناسب فيها الدعاء مع خاتمته في اللفظ، وثلاثة تناسب فيها مع المعنى.

١٤. تصنيف طرق استهلال الاستجابة إلى استجابة مقترنة بفاء التعقيب، أو مفصولة.

١٥. رصْد أربعة مواضع تناسبت فيها الاستجابة مع خاتمتها في اللفظ.

١٦. رصْد أربعة عشر موضعًا تناسبت فيها الاستجابة مع خاتمتها في المعنى.

١٧. تصنيف مواضع تناسب الاستجابة مع خاتمتها في المعنى: إلى الثناء على الله، والثناء على العباد، والجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة، وذمّ المهلكين.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على نبيّه الكريم.

ثبت المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود: دار المعرفة، بيروت.

٤. إعجاز التصريف في البيان القرآني، زينب كردي: بحث محكم منشور في مجلة جمعية تبيان للقرآن وعلومه، العدد السابع عشر، ١٤٣٥هـ.

٥. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٦. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد، حمص، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

٧. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم الحنبلي، تحقيق شاكر هادي شكر: مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٨. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي: دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة.

٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي جميل: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٠. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: دار الكتاب العربي، بيروت.

١١. البرهان في توجيه متشابه القرآن "أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"، أبو القاسم الكرماني، تحقيق عبد القادر عطا، مراجعة أحمد عبد التواب عوض: دار الفضيلة.

١٢. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.
١٣. بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د.عبد الله النقراط: دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٤. بلاغة القرآن في مقامات الاعتراف بالزلل، رغدة كردي: رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، ١٤٣٦/١٤٣٧هـ.
١٥. التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
١٦. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق محمد شمس الدين: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٧. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
١٨. تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله الدرويش: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٠. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة: دار الفكر العربي.
٢١. شأن الدعاء، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق أحمد الدّقاق: دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.
٢٢. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، د.سعيد القحطاني: مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٢٣. شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك الطائي، تحقيق: د.عبد الرحمن السيد، ود.محمد المختون: هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٢٤. شروح التلخيص (المختصر للتفتازاني، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح للسبكي، وبالهامش الإيضاح للقزويني، وحاشية الدسوقي): دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢٦. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د.محمد قاسم، ود. محيي الدين ديب: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٢٧. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢٨. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.
٢٩. قصص الأنبياء، الحافظ ابن كثير، تحقيق د. عبد الحي الفرماوي: دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ه.
٣٠. قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، أبو طاهر محمد البغدادي، تحقيق د.محسن عجيل: مؤسسة الرسالة.
٣١. القول البديع في علم البديع، ابن مرعي الحنبلي، تحقيق د. محمد الصامل: كنزز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ه.
٣٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله محمود الزمخشري: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي.

٣٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٤. لسان العرب، ابن منظور: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣٥. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، د.أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢٦هـ.
٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٣٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، عني به د.محمد مرعب، وفاطمة أصلان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، دار الدعوة.
٣٩. مفتاح العلوم، يوسف السكاكي، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
٤٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٤١. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ.

'Ibn Manzhūr, (1997). Lisāb Al-`Arab (1st ed.). Beirut: Dār Sādir.

Al-KharāT, A.M. (1426AH). Al-Mujtaba min Mushkil 'I`rāb Al-Qurān. Medina Al-Nabawiyah: Mujama` Al-Malik Fahad LiTibā`t Al-MiSHaf Al-Sharīf.

Al-'Andalusī, 'I.A. (1422AH). Al-MuHarir Al-Wajīz fi Tafsyir Al-Kitāb Al-`Aziz (1st ed.) (A. Abd Al-Shāfi, Ed.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīah.

Bin Fāris, A. A. (1422AH). Mu`jam Maqāyis Al-lughah (1st ed.) (D.M. Mur`ib & F. ASalān, Ed.). Beirut: Dār 'IHya' Al-Turāth Al-'Arabī.

Mujama` Al-lughah Al-`Arabiyah in Cairo, MuSTafa, 'I & et al. (n.d.). Al-Mu`jam Al-WaSīT. Dār Al-Da`wa.

Al-Sakākī, Y. (1407AH). MiftāH Al-`Ulum (2nd ed.) (N. Zarzūr, Ed.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīah.

Al-Bqā'ī, 'I.`U. (n.d.). Nuzhm Al-Durar fi Tanāsub Al-'Ayāt wa Al-Suwar. Cairo: Dār Al-Kitāb Al-'Islāmī.

Al-Najdī, M. (1423AH). Al-Nahj Al-'Asma fi SharH 'Asmā Allah Al-Husna (5th ed.). Kuwait: Maktabat Al-'Imam Al-DHahabī.

M. Al-Makhtőn Dr, Eds.). Hajar Press.

24-Shorőh Al-Talkhĩs 'Al-Mukhtasar Lelteftazani , Mawaheb Al-Fattah Ibn Yaqőb Al-Maghrabĩ , Orős Al-Afrah Lelsabki , Belhamesh Al-Eedhah Lelqazweeni '. (n.d.). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah Press.

25-Al-Alawi, Y. H. (1423). Al-Teraz letatwĩr al-Balagha wa Olőm Haqā'eq al-E'ejaz (1st ed.). Beirut: Al-Maktaba Al-Asriyya Press.

26-Qãssem, M., Dr, & Najĩb, M., Dr. (2003). Olőm Al-Balãghah ' Al-Badĩa' Wa Al-Bayãn Wa Al-Ma'ani ' (1st ed.). Tarablos: The Modern Institution For Book.

27- Al-Askari, A. (n.d.). Al-Forőq Al-Lughawiyyah (M. I. Salĩm, Ed.). Cairo: House of Science and Culture for publication and distribution.

28- Al-Fairozabãdi, M. (1419). Al-Qamős Al-Muheet (6th ed.). Beirut: Al-Resalah Establishment Press.

Achieving the Heritage Office of the Mission Foundation under the supervision of Muhammad Naeĩm Al-Erqasòsi

29- Ibn-Kathĩr, A. (1418). Qessãs Al-Anbiya'a (5th ed.) (A. Al-Farmawi Dr, Ed.). Cairo: : Islamic Printing and Publishing House.

30- Al-Baghdadi, M. (n.d.). Qanòn Al-Balaghah Fĩ Naqd Al-She'er Wa Al-Nather (M. Ojail, Ed.). Al-Resalah Foundation.

Al-Hanbalī, 'I.M. (1425 AH). Al-Qawul Al-Badī` fī 'Ilm Al-Badī` (1st ed.) (M. Al-Sāmyil, Ed.). Riyadh: Kunūz 'Ashbiylīa Lilnashir wa Al-Tawzī`.

Al-Zamakhsharī, J.M. (1407AH). Al-Kashāf `an Haqā'iq GhwāmiDH Al-Tanzīl (3rd ed.) .Beirut: Dā Al-Kitāb Al-`Arabī. (Al-Kitāb Mudhyal bi Hāshiyat Al-'IntiSāf li 'Ibn Munīr Al-'Iskandarī wa takhrīj aHādīth Al-Kashāf li Al-Zay`Alī)

Al-Kafawī, A. B. (n.d.). Al-Kuliyāt Ma`jam fī Al-MuSTalaHāt wa Al-Furūq Al-Laghawiyah (A. Driwīsh & M. Al-MaSrī, Ed.). Beirut: Mwuasat Al-risālah.

12- Al-Zarkashĩ, B. (1376). Al-Burhãn Fi Olòm Al-Qurã'an (1st ed.) (M. A. Ibrãhĩm, Ed.). Dar Ehyã'a Al-Kutob Al-Arabiyã Press , Eissã Al- Bãbĩ Al-Halabĩ And his associates.

13-Al-Nuqrat, A., Dr. (1423). Balãghãt Tasrĩf Al-Qawl Fĩ Al-Qurã'an Al-Karĩm (1st ed.). Damascus: Dar Qutaibah Press

14- Kurdĩ, R. (1436-1437). Balãghat Al-Qurã'an Fĩ Maqãmãt Al-E'eterãf Be Al-Zalal. Master Thesis , Imam Mohammad Ben Saud Islamic University , Department of rhetoric and criticism and the methodology of Islamic literature

15- Al-Tõnisĩ, M. I. (1984). Al-Tahrĩr Wa Al-Tanwĩr ' Tahrĩr Al-Ma'ana Al-Sadĩd Wa Tanwĩr Al-Aqel Al-Jadĩd Men Ketab Al-Majĩd. Tunisia: Al-Dar Al-Tunisiyyah Press

16- Al-Qurashĩ, I. I. (1419). Tafsĩr Al-Qurã'an Al-Adhĩm (1st ed.) (M. Shams Al-Dĩn, Ed.). Beirut: Mohammad Ali Baydhõn Publications, Dar Al-Kotob Al-Elmiyah

17- Al-Razĩ, F. (1420). Al-Tafsĩr Al-Kabĩr or Mafatĩh Al-Ghayb (3rd ed.). Beirut: Dar Ehya'a Al-Turãth Al-Arabi.

18- Al-Soyõtĩ, J. (1408). Tanãsuq Al-Dorrar Fi Tanãsub Al-Sowar (2nd ed.) (A. Darwĩsh, Ed.). Beirut: Alam Al-Kutob Press.

19- Al-Se'ĩdi, A. (1420). Taysĩr Al-Karĩm Al-Rahmãn Fi Tafsĩr Kalãm Al-Mannãn (1st ed.) (A. M. Al-Mulayheq, Ed.). Al-Resãlah Establishment Press.

20- Mustafa, M. A. (n.d.). Zahrat Al-Tafasĩr. Dar Al-Feker Al-Arabĩ

21-Al-Khatãbĩ, H. M. (1412). Sha'an Al-Duã'a (3rd ed.) (A. Al-Daggãg, Ed.). Dar Al-Thaqafah Al-Arabiyyah Press.

22-Al-Qahtãni, S., Dr. (n.d.). Sharh Asmã'a Allah Al-Husnã Fi Dhaw'a Al-Ketãb wa Al-Sunnah. Riyadh: Al-Safĩr Press ,Al Jeraisy Distribution and Advertising

23-Al-Tãee, I. (1410). Sharh Tafsĩr Al-Fawãed (1st ed.) (A. Al-Sayyed Dr &

List of References:

Works cited

Al-Soyőtĩ, J. (1394). Al-Itqãn Fi Olőm Al-Qurã'an (M. A. Ibrãhĩm, Ed.). General Egyptian Book Organization

Al-Emadĩ, A. (n.d.). Irshãd Al-Aqel Al-Salĩm Elã Mazãyã Al-Kitãb Al-Karĩm. Beirut: Dar Ehyã'a Al-Turãth Al-Arãbĩ.

Al-Zamakhsharĩ, J. (n.d.). Asãs Al-Balãghah (A. Mahmūd, Ed.). Beirut: Dar Al-Ma'arefah.

Kurdi, Z. (1435). E'ejãz Al-Tasrĩf Fĩ Al-Bayãn Al-Qurã'ani (17th ed.).

An Arbitrated Academic Research Published in the Journal of the Tebyan Association for teaching the Quran and its Sciences

Al-Nahhãs, A. (1421). E'erãb Al-Qurã'an (1st ed.) (A. K. Ibrãhĩm, Ed.). Beirut: Mohammad Ali Baydhőn Publications, Dar Al-Kotob Al-Elmiyãh.

Darwĩsh, M. (1415). E'erãb Al-Qurãn Wa Bayãnoh (4th ed.). Hems: Dar Al-Ershãd.

Al-Hanbalĩ, I. (1388). Anwãr Al-Rabĩ'e Fĩ Anwã'a Al-Badĩ'a (1st ed.) (S. H. Shokor, Ed.). Al-Najaf: Al-Nomã'an Publication.

Al-Qazwĩnĩ, J. (n.d.). Al-Eĩdhãh F Olőm Al-Balãghah (3rd ed.) (M. A. Khafãjĩ, Ed.). Beirut: Dar Al-Jĩl Press.

Al-Andalùsĩ, A. (1420). Al-Bahr Al-Muhĩt Fĩ Al-Tafsĩr (S. Jamĩl, Ed.). Beirut: Dar Al-Feker Press.

10-Al-Jawziyyah, I. (n.d.). Badĩe'e Al-Fawãed. Beirut: Dar Al-Ketãb Al-Arãbĩ Press.

11-Al-Karmãnĩ, A. (n.d.). Al-Burhãn Fĩ Tawjĩh Mutashãbeh Al-Qurãan ' Asrãr Al-Tekrãr Fĩ Al-Qurãn Al-Musammã Al-Burhãn Fĩ Tawjĩh Mutashãbeh Al-Qurãn Lema Fĩh Men Al-Hujja Wa Al-Bayãn (A. Ata & A. A. Awadh, Eds.). Dar Al-Fadhĩlah Press

The Miraculous Proportionality between Supplication and Response

Dr.Zainab Abdullatif Kurdi
Department of Rhetoric, Criticism and Islamic Approach to Literature
College of Arabic Language
Al-Imam Muhammad Ibn Saud University

Abstract:

The current research paper tackles 'ijaz (miraculous) proportionality in supplication (invocation) and response, showing the coherence of its parts and demonstrating the structural proportionality in the Quranic nazm (co-occurrence of words). The study opens with an introduction, which explains the descriptors in the title, and moves to discuss three main topics, and then ends with a conclusion that reports the main findings.

The first topic, entitled ranks of supplication, consists of two sections, the first included the categories of supplication in which examples are classified in three supplication categories: begging, patience and waiting for response, and evoking Allah's support. The second section refers to content of supplication requests in which the requests target matters of everyday life, matters of life hereafter, or general well-being.

The second topic deduces the stylistic features of supplication seen in commencing supplication by invocation, innovation of new presentations, preparation for the supplication, repetition of certain utterances in the request, adherence to prepositional and adverbial forms, and the proportionality between the supplication and the conclusion in words and meaning.

The third topic deduces the stylistic features of the response as realized in the manner of the commencement of the response, and the proportionality between the response and the conclusion in words and meaning.

Finally, I ask Allah to grant us support and righteousness, and to bestow upon us the ability to contemplate the perfect meanings of the Holy Quran, for all the blessing are His.

Keywords: supplication, response, proportionality of words and meaning, Quranic nazm.

١٩٩٤م.

الربعي، أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٤٢٠هـ) -كتاب العروض (٢م) تحقيق محمد أبو الفضل بدران، بيروت- برلين، دار النشر الكتاب العربي والشركة المتحدة للتوزيع ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت٤٥٦هـ) - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده(٢م)، ط٥، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، سوريا، دار الجيل، ١٩٨١م.

الزجاج، أبو اسحق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ) - كتاب العروض، مجلة الدراسات اللغوية، تحقيق سليمان أبو سته، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، المجلد (٦) العدد (٣) (٢٠٠٤م) ص٨٧-١٨٦

الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) - القسطاس في علم العروض (ط٢) تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٩م.

ابن السراج، أبو بكر (ت٣١٦ هـ) - "كتاب العروض"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد (١٥) (١٩٧٢م). ص٤١١-٤٤٠

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦ه) - مفتاح العلوم، (ط١) تحقيق: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، ١٩٨١م.

العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد (ت ٣٤٢هـ) - الجامع في العروض والقوافي (ط١) تحقيق زهير غازي زاهد، وهلال ناجي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٦ه.

ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر (ت٥١٥ هـ) -كتاب البارع في علم العروض، تحقيق أحمد محمد عبد الدايم، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٩٨٥م.

كشك، أحمد- الزحاف والعلة: رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥م.

* * *

List of References:

Works cited

Al-Damāminī, M. A. (1994). Al-`Iūn Al-Ghāmizah 'Ala Khabāya Al-Rāmizah . (2nd ed.) (A. H. Abdu Allah, Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khāniji.

Al-Rub`i, A. B. (2000). Kitāb Al-'UrūDH (2nd ed.) (M. A. Badrān, Ed.) Beirut-Berlin: Dār Al-Nashr Al-Kitāb Al-`Arabī & Al-Sharikah Al-MutaHidah Liltawazi`.

Al-Qyrwānī, 'I. 'A. (1981). Al-`Umdah fi MaHāsin Al-Shi`r wa 'Adābih wa Naqdih (Vol. 2).(5th. ed.) (M. M. Abdu Al-Hamyid, Ed.). Syria: Dār Al-Jīl.

Al-Zajāj, A. 'I. (2004). Kitāb Al-`UruDH (S. Abu Sitah, Ed.). Majalat Al-Dirasāt Al-Lughawīyah, 6(3), 87-186. Ryiadh: Markaz Al-Malik Faisl LilbuHuth wa Al-Dirasāt.

Al-Zamakhsharī, M. `U. (1989). Al-QisTas fi `Ilm Al-`UruDH (2nd ed.) (F. D. Qbāwah, Ed.). Beirut: Dār Maktabat Al-Ma`ārif.

'Ibn Al-Sirāj, A. B. (1972). Kitāb Al-`UruDH (`A. Al-Ftlī, Ed.). Majalat Kuliyat Al-'Adāb, (3), 87-186. Baghdad.

Al-Sakāki, A. Y. (1981). MiftāH Al-'Ulum (1st ed.) (A. `U. Yusif, Ed.). MaTba`at Dār 'Al-Risālah.

Al-`ArūDHī, A. A. (1416AH). Al-Jāmi` fi Al-`UruDH wa Al Qawāfi (1st ed.) (Z. GH. Zāhyid & H. Nājī, Ed.). Beirut: Dār Al-Jīl.

'Ibn Al-QaTā', A. A. (1985). Kitāb Al-Bāri` fi `Ilm Al-`UruDH (A. M. `Abd Al-Dāyim, Ed.). Mekkah: Al-Maktabah Al-FayiSalīah.

Kashk, A. (1995). Al-Zakhārif wa Al-`Ilah: Ruw'yah Fi Al-Tajriyd wa Al-'ASwāt wa Al-'Iqā`. Maktabat Al-NahDHah Al-MaSriyah.

* * *

Rotation of "al zehaf" between "al sababain al khafefain":
A Prosodic Phonetic Investigation

Prof. HusamMuhammed Ayyoub
Department of Arabic Language
Taibah University

Abstract:

This research paper opens with an introduction and moves to tackle four subtopics. The introduction presents the research problem and rationale of studying the rotation of Al zahaf, its significance, a review of previous works, and the current approach to the study of prosodic aspects.

The first subtopic examines permitted rotation of the two light causes (alsababayn alkhafifayn) in Arabic poetic prosody and identifies four possibilities to their juxtaposition.

The second and third subtopics shed light on the restrictions on the rotation of two neighboring light causes in one or between two metric units, noting the decrease of their number in juxtaposition to three possibilities.

The fourth subtitle examines obligatory rotation of movement (alzehaf) between the light causes (alsababayn alkhafifayn", noting the decrease of the number of neighboring metric units to two possibilities.

Finally, the conclusion reports the main findings of the study and some recommendations for further study.

Keywords: Prosody – Poetic meters – Alkhalil Ibn Ahmad Al-Frahidy